

33

الجزء العاشر

الجزء العاشر

فتنة السامري



بقلم: أ. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم: أ. عبد الشافي سيد
إشراف: أ. حمدي مصطفى



غَادَرَ نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى ﷺ جَبَلَ الطُّورِ حَامِلًا أَلْوَحَ
التَّوْرَةِ ، وَعَائِدًا إِلَى قَوْمِهِ ، وَقَدْ مَلَأَهُ الْغَضَبُ مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ ، بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - أَنَّ السَّامِرِيَّ
قَدْ أَضْلَهُمْ ، فِي أَثْنَاءِ غَيْبَةِ مُوسَى ﷺ قَبْلَ رَحِيلِهِ
عَنْهُمْ ، وَصُعُودِهِ الْجَبَلَ لِمِيقَاتِ رَبِّهِ ، كَانَ قَدْ أَخْبَرَهُمْ
أَنَّ غَيْبَتَهُ عَنْهُمْ لَنْ تَطُولَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ..

فَلَمَّا أَمَرَ اللَّهُ - تَعَالَى - مُوسَى ﷺ أَنْ يُوَاصِلَ

صِيَامَهُ عَشْرَةَ أَيَّامٍ آخَرَ ، اسْتَغْطَأَ الْقَوْمَ عَوْدَتَهُ ،
وَمَلَكَهُمْ الْيَأْسُ ، وَرَبَّمَا ظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ لَنْ يَعُودَ ثَانِيَةً ..
وَانْتَهَزَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : السَّامِرِيُّ ، فُرْصَةَ غَيْبَةِ
مُوسَى ﷺ ، وَجَمَعَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْحُلِيِّ الذَّهَبِيَّةِ ،
الَّتِي كَانُوا قَدْ اسْتَعَارُوهَا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ يَوْمَ خُرُوجِهِمْ
مِنْ مِصْرَ ، لِلْإِحْتِفَالِ بِعِيدِهِمُ الْمَرْغُومِ .. فَلَمَّا
أَنْجَاهُمُ اللَّهُ - تَعَالَى - مِنَ الْفِرْعَوْنِ أَصْبَحَتْ كُلُّ هَذِهِ
الْحُلِيِّ مَلَكًا لَهُمْ ..

وَصَهَرَ السَّامِرِيُّ هَذَا الذَّهَبَ ، وَصَنَعَ مِنْهُ عَجَلًا
مُجَوَّفًا مِنَ الدَّخْلِ ، وَجَعَلَ فِيهِ فَتْحَةً فِي الْخَلْفِ ،
وَفَتْحَةً فِي قِمَمِهِ ، بِحَيْثُ إِذَا دَخَلَ الْهَوَاءُ مِنَ الْفَتْحَةِ
الْخَلْفِيَّةِ ، وَخَرَجَ مِنَ الْفَتْحَةِ الْأَمَامِيَّةِ أَصْدَرَ صَوْتًا
يُشَبِّهُ خَوَارِ الْعُجُولِ الْحَقِيقِيَّةِ ..

وَقَالَ السَّامِرِيُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، بَعْدَ أَنْ أُنِّمَ صَنَعَ
الْعَجَلِ :

— هذا هو إلهكم وإله موسى ..

وعبد بنو إسرائيل العجل ، بدلاً من أن يعبدوا الله

— تعالى — ..

نسى بنو إسرائيل أن الله قد أنجاهم من آل فرعون ،

ومن تعذيبهم لهم ، وأنه سبحانه قد أجرى على يدي

نبيهم موسى ﷺ الكثير من المعجزات ، وأنه

ما كان يجب أن يعبدوا سواه ، سبحانه .. ولم يكن ذلك

جديداً عليهم ، فقد سبق ورأوا قوماً يعبدون الأصنام ،

وطلبوا من موسى ﷺ أن يجعل لهم صنما يعبدونه ..

كما أنهم كانوا متأثرين بعبادة المصريين للعجل

أبيس .. ولهذا ما إن قدم لهم السامري العجل الذي

صنعه بيديه من الذهب ، وسمعوا خواره ، حتى التفتوا

حواله وراحوا يؤدّون له شعائر وطقوس العبادة ..

وانتشرت عبادة العجل بين بني إسرائيل ، وصار أغلبهم

يعبدون العجل ، بينما ظلت قلة قليلة منهم على

إيمانهم بالله ..



فَلَمَّا رَأَى هَارُونُ أَنَّ فِتْنَةَ السَّامِرِيِّ قَدْ
انْتَشَرَتْ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَاوِلَ مَنَعَهُمْ عَنْ عِبَادَةِ
الْعِجْلِ ، وَأَقْنَهُمَهُمْ أَنَّهُمْ قُتِلُوا ، وَأَنَّ السَّامِرِيَّ قَدْ
أَضَلَّهُمْ ، وَاسْتَغْلَ جَهْلَهُمْ ، وَرَغَبَتَهُمْ فِي تَقْلِيدِ عَبْدَةِ
الْأَصْنَامِ ، وَصَنَعَ لَهُمْ هَذَا الْعِجْلَ .. قَالَ لَهُمْ هَارُونُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- لَيْسَ هَذَا إِلَهُكُمْ وَلَا إِلَهَ مُوسَى .. إِنَّ رَبَّكُمْ هُوَ اللَّهُ ،
وَالْإِلَهُكُمْ هُوَ اللَّهُ .. يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ..
وَلَكِنْ عَبْدَةُ الْعِجْلِ رَفَضُوا الْإِسْتِمَاعَ لِنُصْحِهِ ، وَلَمْ
يَرْجِعُوا عَنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ ..

وَأَخَذَ هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَذْكُرُهُمْ بِنِعَمِ اللَّهِ - تَعَالَى -
عَلَيْهِمْ ، وَمُعْجَزَاتِهِ الَّتِي أَجْرَاهَا لَهُمْ عَلَى يَدَيِ نَبِيِّهِ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

وَلَكِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يُعَيِّرُوا كَلَامَهُ أَهْتِمَامًا ، وَاسْتَمَرُّوا
عَلَى عِبَادَتِهِمْ لِلْعِجْلِ ..

ولَمَّا اسْتَمَرَّ هَارُونُ عليه السلام فِي نَصَحِهِمْ ،
تَكَاثَرَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ ، وَاسْتَضَعَفُوهُ ، فَكَادُوا يَقْتُلُونَهُ ..
وَلَمْ يَشَأْ هَارُونُ عليه السلام أَنْ يُقَاتِلَهُمْ بِالْقِلَّةِ الْمُؤْمِنَةِ ، الَّتِي
بَقِيَتْ مَعَهُ ، وَلَمْ تَعْبُدِ الْعِجْلَ ، حَتَّى لَا تَقَعَ الْحَرْبُ
بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَلِهَذَا تَرَكَهُمْ يَعْبُدُونَ الْعِجْلَ ،
حَتَّى يَعُودَ مُوسَى عليه السلام مِنْ مِيقَاتِ رَبِّهِ ، وَيَتَصَرَّفَ
مَعَهُمْ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي تَعْجِبُهُ ..

وَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَاضِبًا وَحَزِينًا مِمَّا فَعَلَهُ قَوْمُهُ فِي
أَثْنَاءِ غَيْبَتِهِ ، وَعِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ مِنْ دُونِ اللَّهِ - تَعَالَى - ..
وَمَا إِنْ رَأَوْهُمْ مُلتَفِّينَ حَوْلَ الْعِجْلِ ، حَتَّى صَرَخَ فِيهِمْ
قَائِلًا :

- ﴿ يَسْمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ﴾

وَمِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ أَلْقَى الْوَحْاحَ التَّوْرَةَ عَلَى الْأَرْضِ ،
وَاتَّجَهَ إِلَى أَخِيهِ هَارُونُ عليه السلام ، فَجَذَبَهُ بِقُوَّةٍ مِنْ لِحْيَتِهِ ،
وَمِنْ شَعْرِ رَأْسِهِ ..

ثم صرخ فيه قائلاً :

- كيف تسكت على هذه الفتنه ؟! كيف تسمح لهم بالارتداد عن دينهم وعبادة هذا العجل من دون الله - تعالى - ؟! لماذا لم تقاومهم وتمنعهم بالشدة من عبادة هذا الصنم ؟! ولماذا بقيت معهم ولم تلحق بي ، طالما عجزت عن مقاومتهم ؟! هل عصيت يا هارون أمري ؟! وراح موسى عليه السلام يعنف أخاه ، ظناً منه أنه قصر في نصح بني إسرائيل من بعده ..

وتحدث هارون عليه السلام إلى أخيه موسى عليه السلام ، طالباً منه أن يترفق به ، وأن يترك لحيته وشعر رأسه .. وشرح هارون عليه السلام لأخيه ما حدث ، فقال له : إن الأمر ليس فيه عصيان ، وأنه لم يقصر في نصح القوم ، ولم يرض عن عبادتهم للعجل .. وهو لم يشأ أن يغادرهم ، حتى لا يظن موسى عليه السلام أنه قصر في تنفيذ أوامره بعده .. وهو لم يشأ أن يقاتل عبدة



العجل ، حتى لا تحدث فتنة وفرقة بين بني إسرائيل وبعضهم ..

وأفهم هارون أخاه موسى - عليهما السلام - أن القوم قد استضعفوه وحاولوا قتله ، عندما نصحهم بترك عبادة العجل ..

ورجا هارون عليه السلام أخاه أن يكف عن تعنيفه ، حتى لا يزداد استضعاف القوم له ، واستخفافهم به ..

وأدرك نبي الله موسى عليه السلام أن أخاه هارون عليه السلام لم يقصر في نصح القوم ، والقيام بأمرهم خير قيام من بعده .. ولذلك تركه ووجه خطابه إلى العصاة المرتدين من بني إسرائيل ، فقال لهم :

﴿ يا قوم : ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ، أفطال عليكم العهد ، أم أردتم أن يجل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى ؟ ﴾ ..

ثم خاطب الذين عبدوا العجل ، فوبخهم ،

وَأَنْدَرَهُمْ بِأَثَمِهِمْ سَوْفَ يَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، حَزَاءٌ كُفَرَهُمْ وَعَصْيَانِهِمْ ..

بعد ذلك توجه موسى ﷺ إلى السَّامِرِيِّ ، وسأله
عن أمره ، والأسباب التي جعلته يصنع لبني إسرائيل
هذا العجل ، حتى يَعْبُدُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ..
فَقَالَ لَهُ السَّامِرِيُّ .

- ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ، فَفَبِضْتُ قَبْضَةً مِّنْ
أَثَرِ الرَّسُولِ ، فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ .
ثُمَّ قَالَ - إِنَّهُ رَأَى الْمَلَائِكَةَ جَبْرِيلَ ﷺ وَهُوَ رَاكِبٌ
فَرَسَهُ ، فَلَا تَصْعُقُ الْفَرَسُ قَدَمَيْهَا عَلَى شَيْءٍ . إِلَّا دَبَّتْ
فِيهِ الْحَيَاةُ .. وَلِذَلِكَ فَقَدْ أَخَذَ حَفْنَةً مِنَ التُّرَابِ الَّذِي
سَارَتْ عَلَيْهِ فَرَسُ جَبْرِيلَ ﷺ وَأَلْفَاها عَلَى الذَّهَبِ
الَّذِي صَنَعَ مِنَ الْعِجَلِ ، فِي أَثْنَاءِ صَهْرِهِ ، فَدَبَّتْ فِيهِ
الْحَيَاةُ ، وَصَارَ عَجَلًا لَهُ حَوَارٌّ كَالْعَجَلِ الْحَقِيقِيِّ ..
وَحَتَمَ السَّامِرِيُّ حَدِيثَهُ قَائِلًا : - إِنَّ هَذَا هُوَ مَا سَوَّلَتْ
لَهُ نَفْسُهُ .

فَقَالَ لَهُ مُوسَى عليه السلام

— إِنَّ عِقَابَكَ يَا سَامِرِيُّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَنْ
تَعِيشَ وَحِيدًا مَنبُودًا ، مِنْ النَّاسِ ، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى
وَحْدِهِ الْأَرْضِ .. أَلَا تَقْتَرِبُ مِنْ أَحَدٍ وَلَا يَقْتَرِبُ مِنْكَ
أَحَدٌ .. أَلَا تَلْمَسُ أَحَدًا وَلَا يَلْمَسُكَ أَحَدٌ

إِنَّ عِقَابَكَ يَا سَامِرِيُّ أَنْ تَظَلَّ تَقُولُ : « لَا مَسَاسَ »
سَتَظَلُّ تُرَدِّدُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ لِكُلِّ مَنْ يَقْتَرِبُ مِنْكَ ، لِأَنَّ
لِمَسَّهُ لَكَ سَوْفَ يُسَبِّبُ لَكَ أَلَمًا عَنِيًّا .. لَقَدْ أَرَدْتُ
قِتْلَةَ سَيِّ إِسْرَائِيلَ وَحَمَلَهُمْ حَوْلَكَ لِيَعْبُدُوا إِلَهَكَ ،
وَلِتَكُونِ أَنْتَ رَعِيمًا عَلَيْهِمْ ، وَلِهَذَا يَجِبُ أَنْ تَسُدَّ ..

هَذَا عِقَابُكَ فِي الدُّنْيَا ، أَمَا فِي الْآخِرَةِ ، فَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا
لَنْ تُحَلِّقَهُ مَعَ اللَّهِ — تَعَالَى — ، لِيُعَذِّبَكَ كَيْفَ يَشَاءُ ..

أَمَّا عَذَابُكَ الَّذِي صَبَعْتَهُ مِنَ الذَّهَبِ ، وَأَصْلَلْتَهُ بِهِ
صَعَافَ الْإِيمَانِ ، وَصَعَافَ الْعَقُولِ مِنْ سَيِّ إِسْرَائِيلَ ،
فَسَوْفَ أَحْرِقُهُ ، وَأُلْقِي بِهِ فِي السَّحَرِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ
أَثَرٌ بَعْدَ الْآنِ .



وَأَشْعَلَ مُوسَى عليه السلام نَارًا حَامِيَةً ، ثُمَّ أَلْقَى بِالْعِجْلِ
فِيهَا ، فَصَهَرَهُ ، ثُمَّ أَلْقَى بِهِ فِي الْبَحْرِ ، فَانْتَهَى إِلَى
الْأَيْد ..

وَخَاطَبَ مُوسَى عليه السلام قَوْمَهُ مُذَكِّرًا إِيَّاهُمْ بِأَنْ إِلَهُهُمْ
هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَلَيْسَ هَذَا الْعِجْلُ الَّذِي
عَبَدُوهُ فِي غَيْبَتِهِ ..

ثُمَّ خَاطَبَ الْكَافِرِينَ الْمُرْتَدِّينَ عَنْ دِينِهِمْ مِنْ عِبَدَةِ
الْعِجْلِ ، قَائِلًا لَهُمْ : إِنَّهُمْ قَدْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِعِبَادَتِهِمْ
هَذَا الْعِجْلَ مِنْ دُونِ اللَّهِ - تَعَالَى - ، الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ
بِكُلِّ هَذِهِ النِّعَمِ ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ ..

وَأَفْهَمَ مُوسَى عِبَدَةَ الْعِجْلِ أَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتُوبُوا إِلَى
اللَّهِ خَالِقِهِمْ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ أَمَامَهُمْ سِوَى طَرِيقٍ وَاحِدٍ
لِلتَّوْبَةِ ، حَتَّى يَغْفِرَ اللَّهُ - تَعَالَى - لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ ،
وَيَتُوبَ عَلَيْهِمْ ..

وَهَذَا الطَّرِيقُ إِلَى التَّوْبَةِ هُوَ أَنْ يَقْتُلَ عِبَدَةُ الْعِجْلِ

أَنْفُسَهُمْ ، أَوْ يَقْتُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَاحِبَهُ ..
فَأَخَذَ عَبْدُ الْعَجَلِ يَقْتُلُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَكُلُّ مَنْ قَابِلٍ
مِنْهُمْ صَاحِبَهُ قَتَلَهُ ..

ثُمَّ تَابَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عِبْدَةِ
الْعَجَلِ ، فِيمَا بَعْدَ وَرَحْمَتِهِمْ ، إِنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الثَّوَابُ
الرَّحِيمُ ..

وَلَمَّا زَالَ الْغَضَبُ عَنْ مُوسَى عليه السلام ، وَعَادَ إِلَى هُدُوءِهِ ،
أَمْسَكَ الْوَاحِ الثَّوْرَةَ ، وَرَاحَ يَقْرَأُ الْوَصَايَا الْمَكْتُوبَةَ
فِيهَا عَلَى قَوْمِهِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا جَاءَ فِيهَا ..
فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ :

- إِذَا كَانَتْ أَوْامِرُ الثَّوْرَةِ وَنَوَاهِيهَا سَهْلَةً قَبِلْنَاهَا ..
فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى عليه السلام :

- بَلْ تَقْبَلُونَهَا كُلَّهَا وَتَعْمَلُونَ بِمَا فِيهَا ..
وَلَكِنَّ الْقَوْمَ ظَلُّوا يُجَادِلُونَ وَيُسَاوِمُونَ مُوسَى عليه السلام ،
مِرَارًا وَتَكَرَّرًا ، حَتَّى لَا يَقْبَلُوا كُلَّ الْوَصَايَا ، وَيَخْتَارُوا
السَّهْلَ مِنْهَا لِيَعْمَلُوا بِهِ فَقَطْ ..

فَأَمَرَ اللَّهُ - تَعَالَى - الْجَبَلَ ، فَارْتَفَعَ فَوْقَ
رُءُوسِهِمْ ، وَصَارَ كَأَنَّهُ غِمَامَةٌ ، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :
- إِنْ لَمْ تَقْبَلُوهَا كُلَّهَا سَقَطَ فَوْقَكُمْ الْجَبَلُ
وَقَتْلَكُمْ ..

فَنَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى الْجَبَلِ فَوْقَهُمْ فِي رُعْبٍ ، وَقَبِلُوا
وَصَايَا التَّوْرَةِ ..

(تَمَّتْ)



قَصَصُ الْأَنْبِيَاءِ
الْكِتَابُ الثَّانِي

مُوسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ

(11)

(التَّوْبَةُ)

احرص على اقتنائه